# شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد

الشيخ علي سلطان الجلابنة

الفصل الأول للعام ١٤٣٦

معهد العلوم الشرعية العالمي
تابع لملتقى طالبات العلم www.t-elm.net

نبدأ على بركة الله، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه الكريم، وعلى آله وصحبه وتابعيه وأما بعد،،

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا فإنك أنت العليم الحكيم، ولا سهل لنا إلا ما سهلته لنا إنك أنت الجواد الكريم، ندخل فورًا في هذا العلم، كثيرٌ من إخواننا من طلبة العلم، ومن مشايخنا إذا افتتحوا درسًا ابتدءوا فيه بذكر مقدمات في ذلك الفن، وبيان نوعه وحده ورسمه، وبيان المقدمات العشر، هذه كلها تأخذ منا وقتًا طويلًا، لذلك سأدخل فورًا في هذا الكتاب المبارك، الذي نسأل الله عز وجل من الذين يفهمونه ويطبقون ما به، فإن الخلل الذي عليه، الذي وقع الناس فيه في هذا الزمن هو في التوحيد نسأل الله العافية.

الكتاب اسمهُ كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ووقع فيه خلاف، لكن هذا الذي ذكرهُ كثيرٌ من علماءنا، وكتاب التوحيد للشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله حظي باهتمامٍ كثر من علماء السلف ممن جاء بعدهُ، فقد شُرِح كثيرًا، ووضعت عليه الحواشي وما شابه ذلك.

وكتاب الشيخ محمد عبد الوهاب هو الحقيقة فريد في بابه، لم يُسبق أن صُنف مثله في هذا العلم، صحيح أنهم ألفوا في التوحيد، لكن كتأليف الشيخ محمد عبد الوهاب لم يوضع؛ لأن تأليفه كان له سبقٌ، فله مميزات تميز بها عن غيره، من أهم هذه المميزات ولعلكم تكتبون خلفي:

أولًا وأهمها اعتماده على النص الشرعي، وعندما نقول النص نُريد به كلام الله عز وجل أو كلام رسوله صلى الله عليه وسلم، وأي إنسانٌ أخواتي المباركات إذا أراد أن يكتب الله عز وجل له القبول في الدُنيا لابد له أن يتمسك

بكلام الله عز وجل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر ابن أبي داوود، قال: "تمسك بحبل الله واتبع الهدى ولا تك بدعيًا لكل تفلح"، أو كما قال ابن أبي داوود رحمه الله.

فمحمد ابن عبد الوهاب اعتمد كثيرًا وخصوصًا في تراجم أبوابه على كتاب الله عز وجل وعلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذان الأمرانِ هما محل اتفاق بين جميع المسلمين قاطبةً، فليس هناك خلاف في كتاب الله عز وجل، أو في سنة النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة، هذا المميز الأول الذي يُميز كتاب الشيخ رحمهُ الله.

الأمر الآخر أن كتابه حوى أهم المسائل التي وقع فيها الخلل عند طوائف المسلمين فيه وقته رحمه لله، فإن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله، أقول إنه احتوى على أهم المسائل التي وقع فيها الخلل عند طوائف المسلمين في ذلك الوقت، وهذه الأشياء التي وقع فيها الخلل منها ما يخرب التوحيد كالشرك الأكبر، ومنها ما تنقذ التوحيد كالشرك الأصغر كالرياء وما شابه ذلك.

وما لا يخفى على الجميع فإن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب عليه حمة الله ولد في عام ألف ومائة وخمسة عشر من الهجرة، أي أنه عاش في القرن الثاني عشر الهجري، وهذا القرن سبحان الله كانت الدولة الإسلامية في ضعفٍ شديد، كانت في ذلك الوقت الدولة هي الدولة العثمانية وكانت في آخرها، وقد وقع في ذلك الزمن كثيرٌ من التصور والسحر والتبرك بالقبور، وما إلى ذلك من الأشياء الشركية والتي تُخرج من الإيمان كأن تكون شركًا أكبر أو شركًا أصغرًا يخرم التوحيد.

الأمر الثالث الذي يميز الكتاب، طبعًا هي مميزات كثيرة لكن نحنُ نذكر أهمها، اختصاره، فهو كتابٌ فيه سبعةُ وستون بابًا، جمع فيها التوحيد، والتوحيد أخواتي بارك الله فيكم، هو ينقسم على ثلاثة أقسام، توحيد الإلوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وبعضهم يقسمونه إلى قسمين، توحيد المعرفة والإثبات وهو توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، والنوع الثاني توحيد القصد والطلب وهو توحيد الإلهية، وهذا ما عليه المحققون من علماءنا كابن القيم وشيخه ابن تيميه رحمه الله تعالى والمؤدى واحد.

هذا التوحيد بشكل عام، لكن المؤلف عليه رحمة الله اعتنى بهذه الأنواع الثلاثة، لكن يعني الذي ركز عليه أو جُل الأبواب التي وضعها الشيخ محمد ابن عبد الوهاب تدور حول توحيد الإلوهية وانتبهنا لهذا الأمر، جُل الأبواب تدور حول توحيد الإلوهية، واعتنى بتوحيد الإلوهية لأسباب منها، أولًا أنه أهم أنواع التوحيد، فهو الذي يخرج الإنسان من دائرة الإسلام إذا خالفهُ.

والأمر الثاني أن أولًا أنه أهم أنواع التوحيد، فهذا النوع من التوحيد هو الذي يخرج الإنسان من الإسلام، والثاني أن هذا النوع من أنواع التوحيد الثلاثة هو النوع الذي دار عليه الخلاف بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين، فجل المشركين كانوا يوحدون توحيد الربوبية وبعضهم كان عنده بعضٌ من توحيد الأسماء والصفات، لكن أطلق أهل الشرك على إنكار وجحود توحيد الإلوهية، فهذا النوع هو الذي وقعت فيه المخالفة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وأيضًا بعد زمن النبي صلى الله عليه وسلم، كما هو الحاصل في زمن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، لذلك اعتنى الشيخ رحمه الله في هذا النوع وهو توحيد الإلوهية.

الآن نرجع إلى مميزات الكتاب، فمما يميز الكتاب أيضًا بعد أن قلنا الاختصار أيضًا أن الكتاب بالجملة أحاديثه مقبولة، صحيحٌ أنه سيمر بنا أحاديث تكلم فيها أهل العلم بالضعف كحديث الذبابة، كحديث الذي غرق الذبابة وغيره من الأحاديث إلا أنه هناك ما يشهد لها من أصولٍ عامة.

هذه أهم الأشياء التي تميزُ هذا الكتاب وهذه الأشياء حقيقة جعلته كتابًا فريدًا في بابه لم يسبق أن صنف مثله، بل لم ينسج على منواله، تستطيعين قول أنه فريدٌ في بابه، لماذا؟ لهذه المميزات ونخلص من هذه المميزات إلى أنه طرز في هذا الكتاب مسائل التوحيد عامةً أو كاملةً أو ما يضاد هذه الأنواع، إما يضادها في أصلها فيذهبها، يعني هناك أشياء ذكرها الشيخ في الكتاب تذهب التوحيد بأكمله ، وهناك أشياء ذكرها الشيخ تُنقص التوحيد ولا تجعله كاملًا عند الإنسان، هذه الأشياء التي ميزت هذا الكتاب.

منهج الشيخ محمد عليه رحمه الله أنه كان يبوّب تبويبات شرعية مقتبسة من كتاب الله عز وجل ومن سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم بعد ذلك يذكر عليها الأدلة من القرآن، ثم من السنة، وأحيانًا يضيف لذلك آثارًا عن السلف الصالح، أو كان ينقل نقولاتٍ عن بعض المحققين من أهل العلم المتأخرين كابن تيمية وابن القيم وغيرهم.

كذلك يختم الباب بمسائل يستنبطها من أدلة الباري ونصوص الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين والمحققين بعد ذلك، وهذه المسائل غالبها مرتبطٌ بالتوحيد، وبعضها بالدعوة، وبعضها فيها فوائد عامة، وطبعًا قليلًا ما كان يذكر كلامه، بل ليس هناك على حسب ما أذكر في الكتاب كلامًا للشيخ محمد ابن عبد الوهاب إلا في المسائل والتبويبات، جيد أخواتي بارك الله فيكم؟

الأخت تقول ومن مميزات الكتاب أيضًا الكتابُ بالجملة أحاديث المقولة التي ذكرتها يبدو أن الأخت تكتُب معي جزاها الله خيرًا نعم، بارك الله فيكن، طيب نعم لابد من تلخيص ماذكرت، وإلا كيف ستسفيدون؟ طيب أخواتي بارك الله فيكن لابد من كل واحدة تلخص ما أذكره على كراسة خارجية، لا أريد كتابة على الكمبيوتر أبدًا؛ لأن الكمبيوتر أضاع الأمة في هذا الزمان، أريد من الجميع الكتابة بقلم ودفتر حتى تثبت المعلومة، وأيضًا أريد المذاكرة وحل الواجبات التي سأضعها لكم، نعم جيد أن تكتبوا هنا لكن أريد كتابة على الدفتر بارك الله فيكن.

طيب الآن من الأشياء الجيدة أن تجعل كل أختٍ عندها مرجع ترجعُ إليه في شرح هذا الكتاب، شروح الكتاب كثيرة كما قلت، لكن لعل من أجوبها وأسهلها على الطالبيات شرح شيخنا العلّامة محمد ابن عثيمين رحمه الله تعالى، والمسمى بالقول المفيد، هذا الكتاب هو عبارة عن دروس ألقاها الشيخ رحمه الله، وطُبع في مجلدين، ثم ضغطوه في مجلد واحد وفيه فوائد جيده وطيبه وجميلة.

أيضًا من الكتب المهمة كتاب التمهيد، شرح كتاب التوحيد للشيخ صالح ابن عبد العزيز حفظه الله، وهو أيضًا عبارة عن دروس ألقاها وهناك كتب أضخم من هذين الكتابين، لكن هذين الكتابين كتابين اتصفا بالاختصار، والجمال في الأسلوب، وهناك كتب كثيرة وحواشي مثل حاشية كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن ابن القاسم أيضًا هذه جيّدة، وهناك كتاب بنية المستفيد وهذا كتاب جيد أعتمد عليه كثيرًا في الشرح؛ لأنه مختصر.

فالأخوات تضعُ عندها القول المفيد والتنبيه، والكتب كثيرة لعل الله عز وجل أن ينفع بكم، فعبروا من هذه الكتب ومن غيرها، فمن أراد التوسع فطيب، ومن أراد الاختصار فهذا أيضًا طيب، بارك الله فيكم.

قبل أن ندخل في كتاب التوحيد لابد لنا من ذكر مقدمةٍ مهمةٍ نضعها أساسًا نسيرُ عليه، وهي أقسام التوحيد، فكما قلتُ لكم قبل قليل إن أهل العلم على طريقين؛ أو على طريقتين في تقسيم التوحيد، فبعضهم يجعل القسمة ثلاثية، وبعضهم يجعل القسمة ثنائية، على حسب القسمة الثلاثية نقول التوحيد ثلاثة أنواعٍ؛ توحيد الربوبية، وتوحيد الإلوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

أما توحيد الربوبية فهو توحيد الله عز وجل بأفعاله، طبعًا قبل أن نقول التوحيد هو توحيد الله نقول التوحيد هذه كلمة التوحيد هي إفراد الله عز وجل بما يستحق، ثم إذا قلنا توحيد الربوبية نقول هو إفراد الله عز وجل بأفعاله، وأفعال الله عز وجل كثيرة الخلق والملك والتدبير والرزق وما شابه ذلك.

وبعضهم يقولون توحيد الربوبية هو إفراد الله عز وجل بأفعاله، نعم بعضهم يسمي هذا النوع بأسماء أخرى، ماذا يسميه؟ يسميه توحيد المعرفة والإثبات، ويسمى أيضًا بالتوحيد العلمي، وهذا النوع من التوحيد أخواتي بارك الله فيكم لم ينكره غالبُ البشر، حتى من الكفرة والملحدين، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت:٦١]، إلا من عاند وجحد وكابر كفرعون عليه من الله ما يستحق، ومن هم على شاكلته، فهؤلاء جعلوا أنفسهم أربابًا من دون الله، وإن كانت قلوبهم من الداخل مقرة بأن الله عز وجل هو الرب المتفرد بالعبادة.

طيب، إذًا قلنا الغالب لا ينكرونه، لكن هناك ما ينكر، يعني سمعت من بعض الإخوة أنهم يقولون هذا التوحيد توحيد الربوبية أجمع عليه الكفرة قبل أهلا الإسلام، نقول لا لم يقع عليه الإجماع، هُناك من جحد وكفر، فالدهريون مثلًا قالوا لا إله وما يُهلكنا إلا الدهر، فهؤلاء جحدوا بالرب سبحانه وتعالى وغيرهم والشيوعيون في هذا الزمن، وفرعون ومن كان على شاكلته أنكروا توحيد الربوبية، لكن نحن نقول أخواتي بارك الله فيكن إنكار توحيد الربوبية لم يقع من جماعات يعني بشكل عام، بل هو وقع من أفراد أو جماعات قليلة والله تعالى أعلم.

النوع الثاني هو توحيد الإلوهية، وبعضهم يقول له توحيد الإلهية، وهو إفراد الله عز وجل بالعبادة، وبعضهم يقولون هو إفراد الله عز وجل بأفعال العبيد، هناك قلنا إفراد الله عز وجل بأفعاله، نقول إفراد الله عز وجل بأفعال العبيد، فلا يصرف الإنسان أي عبادة فعلية كانت أو قوليه أو قلبية إلا له سبحانه وتعالى، فهو المستحق لجميع أنواع العبادات.

وهذا النوع هناك من يسميه بتوحيد ايش أخواتي بارك الله فيكم؟ توحيد القصد والطلب، وهذا كما قلت قبل قليل هو أهم أنواع التوحيد، ومن أجله أرسل الله الرسل وبعث الله الأنبياء.

النوع الثالث هو توحيد الأسماء والصفات، وهو أن نُثبت لله عز وجل ما أثبته لنفسه في كتابه، وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته الصحيحة من غير تحريف ولا تعطيلٍ ولا تشبيه ولا تمثيل، وهذا التوحيد أيضًا شرطٌ مهم في تمام الإيمان، فلا يصح إيمان العبد حتى يعتقد لهذا النوع من أنواع التوحيد.

فالإيمان بصفات الله جل جلاله ومعرفتها معرفة واضحة صحيحةً تُخرج الإنسان عن الجهل بالله سبحانه وتعالى، وتعرفه بربه سبحانه وتعالى، فتجعله يخاف ويخشى الله عز وجل، يعلم أن الله عليم، يعلم أن الله عز وجل بصير، فتثمر هذه الأسماء وهذه الصفات ثمارًا طيبة على العبد والله تعالى أعلم.

من أهم من قسم التوحيد إلى قسمين شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم عليهما رحمة الله.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **كتابُ التوحيد** وقول الله تعالى، يعني نقول كتاب التوحيد نقطة وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وقوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء:٢٣]، وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦]، وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام:١٥١].

قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه.

أنظرن أخواتي نطبق تطبيقًا عمليًا ما ذكرناه قبل قليل، الآن ذكر الترجمة، قال كتاب التوحيد مباشرة، ولا حظوا معي الكتاب الأول لم يذكر له عنوان مباشرةً، دخل فيصلب الموضوع وهذا سنتكلم عن سببه بعد قليل، ولو نظرنا في الباب الذي يليه باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب وضع عنوانًا، هنا لا، قال كتاب التوحيد، الكتاب كتاب التوحيد هذا عنوان عام لجميع الكتاب، وفي بعض النسخ ذكر الشيخ رحمه الله قوله بسم الله الرحمن

الرحيم، وفي نسخ أخرى سقطت هذه البسملة وسنتكلم أيضًا عنها لكن في المرات القادمة بإذن الله.

لكن نحن اليوم يعني لن ندخل في صلب الباب الأول دخولًا مباشرًا، لكن سأأخذه هكذا عامة، ثم أنظرن أخواتي بارك الله فيكن ذكر أحاديث عن الصحابة رضي الله عنهم، قال: **قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه**، وابن مسعودٍ هو عبد الله رضي الله تعالى عنه، من أراد أن ينظر إلى وصية محمدٍ صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ } إلى قوله: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا }، كم آية؟ ثلاثة آيات، وهذه الآيات الثلاثة ماذا قال عنها الشيخ في ما يستفاد من الحديث، من تذكر لنا؟ آية الحقوق العشر، قال: آية سورة النساء التي تُسمى بآية الحقوق العشرة، بدأها الله عز وجل بقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيء، هذه الآيات تُسمى بآيات الحقوق العشرة، وهي وصايا من الله عز وجل للناس، فهي جميلةٌ جدًا.

قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد – صلى الله عليه وسلم– التي عليها خاتمته فليقرأ { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ } إلى قوله: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا } أنا أخطأت في الآيات، هذه الآيات تختلف عن تلك.

قال: وعن معاذ ابن جبلٍ رضي الله تعالى عنه، يعني الآيات التي في سورة الإسراء {لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} تختلف عن الآيات التي في سورة الأنعام، واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وهذه التي ذكرها ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، هي وصية محمد صلى الله عليه وسلم.

قال: وعن معاذ ابن جبلٍ رضي الله تعالى عنه قال: " **كُنْتُ رَدِيفَ اَلنَّبِيِّ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ لِي يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اَللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اَللَّهِ؟ قُلْتُ اَللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ اَللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اَللَّهِ أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، قُلْتُ يَا رَسُولَ اَللَّهِ أَفَلا أُبَشِّرُ اَلنَّاسَ؟ قَالَ لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا**".

الآن هكذا انتهى الباب، ثم ذكر الشيخ رحمه الله، قال فيه مسائل، الأولى الحكمة في خلق الجن والإنس إلى آخر المسائل وعددها أربعة وعشرون مسألة ، ونحنُ في هذه المسائل لا نعلّق عليها كلها، لم نعلق عليها كلها بل سنعلق على أهم المسائل التي تهمنا في كتاب التوحيد، أسأل الله عز وجل أن ينفعنا بما سمعنا، وأن يجعل ما سمعناه حُجةً لنا لا علينا، هذا والله تعالى أعلى وأعلم، ونسبة العلم إليه وأسلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه الكريم، وعلى آله وصحبه والتابعين وجزاكم الله خيرًا على صبركم وحسن استماعكم.

أخيرًا أذكر أربعة أسئلة أو ثلاثة لعل الأخوات يكتبنها..

**السؤال الأول**: عرّفي بالشيخ محمد ابن عبد الوهاب بما لا يزيد على خمسة أسطر، ولا ينقص عن سطرين.

**السؤال الثاني**: عرّفي بكتاب التوحيد أيضًا بما لا يزيد عن خمسة أسطر، ولا يقل عن سطرين.

وأرجو من الأخوات في التعريف بكتاب التوحيد أن تجتهد كل أخت أن تأتي بفائدة وتضعها بين قوسين وتقول هذه فائدة تعبت حتى حصلتها.

**السؤال الثالث والأخير**: هل هناك أحدٌ ممن هم من أعداء هذه الدعوة المباركة، دعوة الرجوع إلى سلفنا الصالح، هل هناك من هؤلاء القوم من شرح كتاب التوحيد، وإذا كانت الإجابة بنعم فمن هو؟ وماذا يُعد كتابه؟

وهذا السؤال طلبته من كل لأني أُريد به أن تحصلن على فائدة طيبة جدًا جدًا جدا.

هذه ثلاثة أسئلة أرجو من الجميع أن يضعنها من هذه الليلة بارك الله فيكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

نعم أريد الرجوع إلى مراجع أخواتي ولا أريد من العقل، القراءة مهمة جدًا، السلام عليكم ورحمة الله..

معهد العلوم الشرعية ١٤٢٩هـ

تم هذا الدرس يوم الإثنين 10 محرم ,1436 الموافق3\11\2014